



«إن ابني هذا لسيد»

بقلم : فيصل الزامل

الحديث الشريف «ان ابني هذا لسيد وسيصلح الله به بين فئتين كبيرتين من المسلمين» هو بشارة كريمة وقد تحققت على يد الشخص الذي ذكره النبي صلى الله عليه وسلم، وهو الحسن بن علي رضي الله عنهما، وذلك من كرامات النبوة، ولما كان النص عندنا هو الاساس فقد ربط النص تلك الكرامة بشخص الحسن رضي الله عنه وجاء استخدام حرف الاشارة «ابني هذا» للتحديد الصارم، واذاف اليه تحديد سبب تلك الكرامة وهو «فعل سيفعله»، وليست تلك المكانة فقط للنسب الكريم الذي يحمله مع كرامة ذلك النسب الكريم الذي جاء فيه حديث آخر يصف فيه الحسن والحسين رضي الله عنهما بأنهما سيذا شباب اهل الجنة، وعند هذا الحد يتوقف هذا الوصف، عند الفعل الكريم وصاحب هذا الفعل الكريم، وهنا لابد من التمييز بين الفهم الشرعي و«الفعل العرفي» فقد جرى العرف على نقل تلك الصفة بالتوارث الى كل من له صلة نسب بالحسن رضي الله عنه، وللناس فيما يتعارفون عليه ما يريدون، وللشرع فيما يقرره ضوابط يستند اليها، والتفاخر من صفات العرب وربما غير العرب، فهذا يفخر بقبيلته وذاك يفخر برياسته، واما في شريعتنا فالفخر هو في التقوى، و«بسببها» يكون القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم بصريح النصوص الكريمة.

لقد كانت صلة والد النبي صلى الله عليه وسلم به اقرب من قرابة عمه ابي طالب، ومع ذلك فقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم «عمي ابوطالب في ضحاح من النار له نعلان من النار يغلي بهما رأسه، ويخفف عنه العذاب يومي الاثنين والخميس بسببي» اي بسبب فعل فعله، وهو دفاعه عن النبي صلى الله عليه وسلم، وما زاد اجترأ قريش عليه الا بعد وفاة عمه ابي طالب، ولو كانت القاعدة بالقرب للنسب لكان والد النبي صلى الله عليه وسلم اولى بالتخفيف من عمه، ولكنه الفعل، الذي قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم «لا يأتوني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم» وقال «من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه» والداعي لطرح هذا الموضوع هو اشتداد حمى الفخار بأنواع كثيرة من الانساب تتنوع فيها الدوافع وينخفض معها الاساس المعتمد لصالح ما اصطلح عليه البشر، وقد تكررت مسألة تمديد وتوسيع الفهم للنص، نجد ذلك في قول النبي صلى الله عليه وسلم «من عصى اميري فقد عصاني، ومن عصاني فقد عصى الله» وهو نص خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك رأيت البعض في جماعات الشباب المتدين يستخدمون لمواجهة من يخالفهم الرأي، وقد نبهت مرارا الى ان تحريك المعنى عن الخصوصية النبوية الى سواها من الناس هو تحريف، فليس من اختلف معك يا هذا قد عصى الله عز وجل.

المبالغة في التعبير عن المشاعر هي التي دفعت قريشا نحو الشرك بالله عز وجل، فهم يؤمنون بالله عز وجل، ولكنهم يرون ان معاصيهم لا تسمح لهم بدعاء الله عز وجل مباشرة فاتخذوا تلك الاصنام واسطة للوصول الى الله بدعائهم، وكانوا اذا انتهوا من طوافهم بالبيت العتيق، في الجاهلية، ينزعون ملابسهم ويتعرون تماما ليلبسوا غيرها، تخلصا من الذنوب وحتى يعود الواحد منهم من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وربما بلغهم شيء من ذلك عن دين ابراهيم عليه السلام فبالغوا فيه الى ما نقل الينا من الطواف بالبيت عرايا، بسبب الذنوب!

الزيادة لا تقل خطرا عن النقص، والموفق هو من نجا من الاثنين.